العنوان: الموقف الدولي من إحتلال محمد علي باشا لبلاد الشام ، 1831 - 1840 من خلال الوثائق العثمانية
المصدر: دراسات تاريخية - سوريا
المؤلف الرئيسي: البلخي، علي يوسف
المجلد/العدد: ع 19,20
محكمة: نعم
التاريخ الميلادي: 1985
الصفحات: 200 - 218
رقم MD: 179822
نوع المحتوى: بحوث ومقالات
قواعد المعلومات: HumanIndex
مواضيع: العصر الحديث، محمد علي باشا، مصر، بلاد الشام، السياسة الدولية، الاحتلال العثماني، المصادر التاريخية، الوثائق العثمانية، الحملات العسكرية، السياسة الخارجية، بريطانيا، فرنسا، النمسا، روسيا، العصر العثماني
رابط: http://search.mandumah.com/Record/179822

تفرد مجلة « دراسات تاريخية » بدءا من هذا العدد بابا خاصا لنشر بحوث الدارسين ، المرشحين لمناقشة الرسائل المعدة لنيل شهادة الماجستير او الدكتوراه في جامعة دمشق .

الموقف الدولي

من احتلال محمد علي باشا البلاد الشام (١٨٣١ ـ ١٨٤٠) من خلال الوثائق العثمانية

علي يوسف البلخي

جاءت حملة محمد علي على بلاد الشام في اعقاب انتصارات هامة حققها جيشه في الحجاز وفي اليونان وفي السودان . وكانت الظروف الدولية مواتية لهذه الحملة ، فبريطانية كان يشغلها الاصلاح الداخلي لاستبعاد خطر الثورات التي ظهرت في فرنسة، وفرنسة منشغلة بثورات ١٨٣٠ في باريس التي جاءت بالملك لوي فيليب الى الحكم . وكان يشغلها ايضا الوضع المضطرب في الجزائر الذي ادى الى ثورة الامير عبد القادر الجزائري عام ١٨٣٢م . وكانت الامبراطورية النمسوية مهددة بثورة بولونية . أما الدولة العثمانية فكان جيشها الجديد ما زال فتيا بعد قضاء السلطان محمد الثاني على الانكشارية عام ١٨٢٦ ، كما ان الاسطول العثماني كان قد هزم من قبل الاساطيل الاوربية ابان حرب اليونان في معركة نفارينو عام ١٨٢٧(١) .

رأى محمد علي باشا بثاقب نظره ضعف الدولة العثمانية فقرر تأسيس عرش له يتربع فوقه ويورثه لاحفاده ، لذلك احكم قبضته على مصر ثم جهز قوة عسكرية برية وبحرية بقيادة ابنه ابراهيم وأمره باحتلال بلاد الشام ، وانطلقت تلك القوات من مصر في ٢٩ تشرين الاول ١٨٣١ م .

وبرهن ابراهيم باشا على قدرة قتالية عندما هزم قوات عبد الله الجزار ودخل عكا عام ١٨٣٢ ، وتقدم الى دمشق بعد ان بدد قوات عثمانية قربها ، وتابع سيره الى الزراعة وانتصر على الجيش العثماني فيها وتقدم الى حماة وحلب ومضيق بيلان.

والحق ابراهيم باشا هزيمة ساحقة بالجيش العثماني في معركة قونية في ٢٧رجب ١٢٤٨ هـ/٢١ كانون الاول ١٨٣٢ م ، واسر رشيد باشا قائده .

تركت هزيمة العثمانيين في قونية آثارا سلبية على العثمانيين والمصريين على السواء ، بسبب التدخل الاوربي في شؤون السلطنة العثمانية ، بحجة كبح محمد علي. وحاول السلطان العثماني توقيع الصلح مع محمد علي باشا فارسل وفدا الى مصر برئاسة صارم افندي ، أحد كبار رجال الديوان السلطاني ، ليقنعه بالصلح ، فباءت محاولته بالفشل ، وعرض السلطان عليه ولاية عكا وطرابلس ، فرفض محمد علي واصر على ضم بلاد الشام الى مصر . وارسل الباب العالي(٢) خليل رفعت باشا، وهو احد اعيان استانبول ، الى مصر ، حاملا الى محمد علي عفو السلطان عنه . ونظرا لوجود صداقة بين خليل رفعت باشا ومحمد علي فقد قررا ابرام الاتفاق على انهاء الحرب ضد السلطنة العثمانية مقابل اعطاء محمد علي ولاية سورية وادنة . وتم انهاء النزاع على هذا الوجه(٣) .

وحتى يتضح موقف الدول الاوربية تجاه وجود محمد علي باشا في بلاد الشام ، نرى من الضروري بيان سياسة كل دولة اوربية على حدة . والدول المعنية بهذا المجال هي : انكلترا ، فرنسا ، النمسا ، وثم روسيا وبروسيا .

كانت **سياسة روسيا** منذ عهد بطرس الاول (٤) تهدف الى الوصول الى المياه الدافئة في الدردنيل والبوسفور . لذلك اغتنم قيصر روسية هزيمة العثمانيين في قونية وارسل وفدا عسكريا برئاسة الجنرال مورافيف الى الاستانة ليعرض مساعدته العسكرية ، البرية والبحرية ، للسلطان العثماني . وبعد هزيمة قونية كلف السلطان محمود الثاني ريس افندي ، الذي كان صدرا اعظما ، بمقابلة بوتيف سفير روسية بالاستانة لطلب مساعدة عسكرية روسية قوامها ٢٠ او ٢٥ الف جندي ، فاتصل السفير الروسي بالقيصر وابلغه طلب السلطان فاصدر اوامره الى الاسطول الحربي بالتقدم من سيباستبول الى البوسفورفي ١٤ شباط ١٨٣٣ فوصل الى مياه الاستانة في ١٩ شباط ، وأمر القيصر الجزال كيسليف باجتياز الروملي الى استانبول ووضعت قوات اوديسا على اهبة الاستعداد (٥) .

أما مورافيف فكان قد غادر الاستانة الى مصر وقابل محمد علي باشا في ١٣ شباط ١٨٣٣ وعرض عليه رغبة القيصر باتفاقه مع السلطان ، فرد محمد علي عليه بانه عرض الاتفاق على السلطان منذ شهر تشرين الثاني عام ١٨٣٢ ، وعاد مورافيف من الاسكندرية الى استانبول وأبلغ الباب العالي بان محمد علي قد أمر ابنه ابراهيم

هذه الوثيقة موجودة في ارشيف رئاسة الوزراء التركي في استانبول ومحفوظة بدوسية رقم ٧٨. وتتضمن موقف كل من فرنسة وانكلترة وروسية تجاه احتلال محمد علي باشا لبلاد الشام ، وقد دونها محمد نامق بك الذي كان سكرتيرا خاصا للسلطان محمود الثاني ، وقد جمع معلوماتها من رسائل ملوك الدول المذكورة والموجهة الى السلطان العثماني .

[illegible]

بالتوقف في كوتاهية ، لكنه نصح رجال الباب العالي باخذ الحيطة والحذر من محمد علي . وعندما عسكر ابراهيم باشا في كوتاهية وصل اليه ثلاثة رسل :

الاول من قبل الباب العالي ليبلغه أنه أرسل خليل رفعت باشا الى مصر من أجل الاتفاق مع والده (٦) .

والثاني من قبل مورافيف الذي ارسل أحد معاونيه (دوهامل) لينصح ابراهيم باشا بالتوقف عن القتال .

وأما الرسول الثالث فهو : بودوليا رسول سفير فرنسة ، وكانت مهمته اقناع ابراهيم باشا بالتوقف عن القتال .

وكان جواب ابراهيم الى الرسل الثلاثة بانه قائد لقوات محمد علي باشا ، وانه خاضع لتعليماته ومنفذ لاوامره .

وخافت كل من فرنسا وانكلترا من تعاظم النفوذ الروسي في الدولة العثمانية فتدخلتا لتسوية الامور بين السلطان العثماني ومحمد علي باشا ، واسفر تدخلهما عن ابرام معاهدة كوتاهية في ٥ أيار ١٨٣٣ والتي جاء فيها :

١ ــ انسحاب ابراهيم باشا من الاناضول الى ما وراء جبال طوروس .

٢ ــ اعطاء ولاية مصر لمحمد علي مدى حياته ، ومنحه حق تعيين الولاة على ولايات بلاد الشام الاربع (عكا ، طرابلس ، حلب ، ودمشق) واعطائه جزيرة كريت .

٣ ــ تعيين ابراهيم باشا واليا على اضنة .

اعتبر السلطان العثماني معاهدة كوتاهية هدنة ليعيد تنظيم قواته من اجل طرد ابراهيم باشا من بلاد الشام .

وردت روسيا على التدخل الانكليزي الفرنسي بأن وقعت مع السلطان محمود الثانيفي ١٨ محرم ١٢٤٩ هـ / ٨ حزيران ١٨٣٣م معاهدة هجومية عرفت بمعاهدة أونكيار اسكلة سي، تعهدت بموجبها بالدفاع عن الدولة العثمانية اذا هاجمها المصريون أو غيرهم ، وحازت بذلك على حق التدخل في شؤون الدولة العثمانية الداخلية .

واعتبرت معاهدة اونكيار اسكلة سي نصرا كبيرا لروسيا لانها حققت حلمها بالوصول الى المياه الدافئة .

معروض بنده‌لريدركه

انكلتره وكلاسى تكميلاً نصب اولنمه اولەرق مصالح داخليه‌يه مشغول اولمقده‌در هنوز باشليجه برايشه‌يه

اولنمامشدر سفراى دول اجنبيه نظارت لوردى بالمستروندن مقدم امور اجنبيه نظارتى بولنمش اولان لورد ابردين‌يه

جنابلرى اليوم قوللرينا نظارت نصب اولنمه‌دن مقدماً واقع ديگرم مصاحباته وجريان ذات مصاحبه اولنمقده

مشروح نوعى الى كندوسى ودقيقه يعنى وكلاى سائره دولت عليه‌يه هر وجهله معاونت ايلمك محمد على‌نه

بر وجهله يوقدر [illegible] دولت عليه طرفندن اول باول مبادرت اولنميوب محمد على پاشا ادبى [illegible] تحقيق

تقريبه دولت عليه جنابلرى حقلى ايسه برقاعده حقلى بولنوب جميع دول اوروپا محمد عليه معارض اولمقده‌در

استبداد اولنمقده‌در بحث ايله‌رك جزاير مصلحتى ذات نقدى اولدوغى عطوفتلو رشيد بك افندى بنده‌لرى

فرانچه وكلاسيله ملاحظه‌نم مبادرت ايلدك اوزره اولديغى بيانه ايلديكم مشروح حوصاليه بونده دوره‌سنه

مقدم زيد وكلاى دولت بولنديغى اثناده فرانچه دولتى جزايرى دولت عليه‌يه دواير حلكنى بر وعد ايتمش ايدى

اگر اول اوالقدم عهد اولمبوب منصب قاسمه اولمايدك شمديه قدر جزايرى فرانچه‌لو دولت عليه‌يه

دوايتمه اولورارى شمدى اشته دوره‌سنه دنبرو حالى اوزره قالدى باقەلم نصل اولور ديمه ايتمشدر

استحصالنه اميد وار ايلديگى ومضمونى فحواسى شهر ج ٢٨ تاريخله عطوفتلو صارم افندى بنده‌لرى

امر دولت تحرير ايلديكى شقه طرف دولتنده براونامه والدره وروداتمه اثرى اشواموالارى

اوزره تحرير وارسال بيورلمشه اولديغى افاداته بناً ايدرك وعبارتى كرك جناب دولت اقدمجه عرض واشعار

بنكانم اولديغى حقاصه برصفحه اولمشى زمينك وكلاى موجوده‌يى لسانا سرد افاداسه اولنه هنوز مشغول

واقليليه مشغول اولوب طول دولارا ستماعه وقتلى اولمديغنده ناشى فرانسوى العباح برمذكرة قلميه

اولنوب امور اجنبيه ناظرى دوره ويبقمرانه جنابلرينه اعطا اولنمه اولمقله منظور عالى بيورلمق ضمننده عيني بصورتى

خاكپاى دولتلرينه ملفوفاً تقديم قيلندك بولنمقده‌بجه نحيه قدريك تمامى اولمقله صدرسه مذكوره بجمع مقدم

مورسيانى قوللرينه كوندرلوب اولطرفه كافه برنجى متريك جنابلرى خبرخواه دولت عليه اولديغى وجهله نمايان

اولمسه اولديغنده امر دولت اوزره مورى ايلك برقاعده طوريه مجبه درشيى استحصال ضمننده

صدرسه مذكره هنوز لى برنجى مدى اليه قراءه ايدوب بعض دولتلر بلغاد والبى طرفنه كوندرلوب اندن

خاكپاى دولتلرينه ارسال اولنمش ماوروپانى قوللرينه تحرير واشعار عاجزانم اولديغنده بشقه محمد على پاشا

هذه الوثيقة موجودة في ارشيف رئاسة الوزراء التركي باستانبول ومحفوظة بدوسية رقم ٧٨ . وقـد دونها محمد نامق بك بناء على رغبة السلطان محمود الثاني موضحا رغبة محمد علي باشا بالاستقلال عـن السلطنة العثمانية واعتبر احتلاله لبلاد الشام تمردا لذلك نعته بالعاصي.

استقلال داعیه‌سنی شمال دول ثلثه‌یه اقدمجه تقدیم ایتمسه اولاجق قضایا معهوده سندنده ازجمله مصر دولتنه تقدیم

ایلدیکی تقریرنه اولوقته بریخ موسی الیه جنابلری طرفندن وربلدی جوابی امکلتره وکلاسنه کوسترلمک ایجون

لوندره‌ده مقیم مصر مصلحتکذارینه کوندروب محمد علینک حال وکیفیتنی بیان ایدرک دولت علیه‌یه اطاعت وانقیاد

اوزره مستداولمسنه برکفیل اولمق ضمننده قوه بحریه اخذیله دولت علیه‌یه وبرلسنی موسی الیه نازکانه اتمام وتبلیغ

ایتمسی اولاجق اول وقته باالذات منظور عاجزانم اولمسه اشتم وکلای سابقه طرفندن اصغا اولنمسه اولدیغنده

مقام والدینه دخی بو قضیه‌یی تحریرایله اشعار واخبار ایتمکده اولماسه ایدی لکن شمدیلک مقتضای وقته

وحال کوره بریخ مترینک جنابلرینک صنبو رأی واراء سابقه خیریه‌سی بونقده حالیه نظراً الحالة هذه کارکر

اولمسی ملاحظه‌سی دکارلمقله معهودک بروجه بالا قوه بحریه‌سی دولت علیه‌یه تسلیم اولنمزه بر دخی عصیانه

اجتماسه برکفیل وپرسه اولاجق کیفیتنی ماوروپاخ قوللری بریخ موسی الیه جنابلرینه بیانیله اشبو رأی سابقی

حالا موجود بولنده امکلتره منسترولرینه تکرار تحریر ایلمسی ضمننده ترغیب ومطالبه بیله موسی الیهک صنبو

الاهم خیریه‌سی استحصالنه اولوقته امکلتره وفرانچه وروسیه دولتلری طرفلرنده دخی بو خصوصه محاشاسه

کوستریله‌جکی ملحوظ اولمقله ایدی بومادهٔ داز خاکپای دولتلرنده تحریراً استیذان اولنمسه جواب ورودنه قدر

زمانه فرصته قوسه اولمسه اولاجق معلوم دولتلری بیوریلمسی وصنبو عبدلره چکدرر نایبچی تکوش عطوفتلو

رشید بک افندی بندهلری طرفندن خاکپای عالیلرینه اشعار ایتمش اولاجق وپاپه جزایر مصلحتنه مباشرت ایدرک

بو طرفده دخی معاونته لزوم کلمسی اولاجغنی بیان ایلدیککده قوللری دخی بو نقطه صنبو انحصار امدادجنبه

ناظری وتبقتور جنابلرینه طعامه مدعو اولدیغمده خصوص مذکوره دائر لزوم کلدکده معاونته والتزام

موادنه استحصال ضمننده صنبو موسی الیهک فرانچه منسترلوسیله واقع اولدیغی مکالمه‌سنی تلقی موسی الیه

بسط ایدرک بوبابده غیرته وهمتی تحریک ایتمه سارعتمه بنده‌کانم اولاجق معلوم دولتلری بیورلدقده

هر حالده امر وفرمان دولتلو عنایتلو افندم حضرتلرینکدر

فی ۵ ن سنه ٥٦



أما **السياسة الانكليزية** فكانت تهدف الى بقاء الدولة العثمانية ضعيفة وابعاد النفوذ الروسي عنها ، وان لا تقوم دولة قوية على طريقها الى الهند ، وان لا يملك محمد علي العراق والخليج العربي وسواحل بلاد الشام . وكان الباب العالي راغبا بالاستناد الى دولة قوية لرد خطر محمد علي ، وكان في الوقت نفسه يخشى مطامع روسيا وانكلترا في المضائق ، الدردنيل والبوسفور ، لذلك كلف الباب العالي ريس افندي بمقابلة سترافورد كاننج ، سفير انكلترا بالاستانة ، فقابله في ١١ آب ١٨٣٢ وابلغه رغبة الباب العالي بالمساعدة الادبية والمادية ضد محمد علي باشا .

وارسل الباب العالي أمرا الى ماورو باني سفير تركيا في فيينا بأن يتجه الى لندن فوصلها في ٣ تشرين الثاني ١٨٣٢ م حاملا اقتراحات الباب العالي الى الحكومة الانكليزية بخصوص طلب المساعدة ، وان تركيا تتحمل كافة نفقات تلك المساعدة ، وتمنح انكلترا جميع الامتيازات التجارية التي تريدها مقابل وقوفها ضد محمد علي. فاجابت انكلترا بانها لا تستطيع الرد العاجل على مقترحات الباب العالي(٧) . وكرر الباب العالي محاولة طلب المساعدة من انكلترا فوصل نامق بك السكرتير الخاص للسلطان محمود الثاني الى لندن في ١٣ كانون الاول ١٨٣٢ حاملا مقترحات السلطان والباب العالي بطلب المساعدة ، فردت انكلترا انها لا تستطيع الاندفاع في عمل عسكري وانها تفضل الانتظار . ورات انكلترا ان ترسل اسطولا حربيا الى مياه الدردنيل بقيادة الاميرال ماندفيل بعد معركة قونية المارة الذكر .

أما **فرنسا** ، فقد كانت السبب الذي جاء بمحمد علي الى مصر . ذلك انه دخل الى مصر مع الفرقة الالبانية التي جهزها السلطان العثماني لطرد الفرنسيين من مصر . وهذا يستوجب وجود عداء بين محمد علي وفرنسا . ولكن الاحداث كشفت عن نوايا نابليون بونابرت وطموحه الى كرسي العرش الفرنسي ، وأن بريطانيا لـن تترك فرنسة على هواها فتصدت لها ، وحتى تقيم فرنسة العراقيل امام انكلترا فقد رغّبت محمد علي باحتلال الجزائر ، ولكنه لم يستجب لطلبها لانه صمم على احتلال بلاد الشام ، التي رأى فيها اقتصادا مزدهرا يتيح له انجاز مشاريعه ،ويوفر شبابا يجنده لخوض ساحات القتال ، وحدا عازلا عن السلطة العثمانية (٨) . وأفاد محمد علي من التنافس الاستعماري الانكليزي ــ الفرنسي بأن نال دعم فرنسة له في بداية تنفيذ مشروعه باحتلال بلاد الشام .

لكن السياسة الروسية السابقة الذكر لم ترق لفرنسا في عام ١٨٣٢ ــ ١٨٣٣ . لذلك جهزت أسطولا حربيا وارسلته الى مياه الدردنيل بقيادة الاميرال روسين ، الذي وصل الى المضيق المذكور في ٢٠ كانون الثاني ١٨٣٣ م ، وابلغ الباب العالي عندما وصل

الى المياه التركية انه سيدافع عن مصالح الدولة العثمانية ضد ابراهيم باشا ، اذا سحبت الدولة طلب المساعدة من روسيا . ولم تتحقق أماني روسين بسبب وصول الاسطول الروسي الى مياه البوسفور ، فابلغ الباب العالي بان مجيء القوات الروسية يذهب عنه كل استقلال ، ولذلك فقد بات وجود السفير الفرنسي باستانبول عبثا . وعلم ريس أفندي بمقترحات روسين فكلفه بالوساطة بين محمد علي والباب العالي لوقف القتال على أن يعطى محمد علي ولاية عكا وطرابلس والقدس ونابلس ، فوافق روسين على الوساطة شريطة ان يغادر الاسطول الروسي المياه العثمانية . ووقع ريس أفندي مع روسين اتفاقا بهذا الخصوص في ٢١ شباط ١٨٣٣ (٩) .

وارسل روسين رسولا الى كوتاهية ليبلغ ابراهيم باشا الاتفاق الذي وقعه مع ريس أفندي ، والذي ينسحب ابراهيم باشا بموجبه الى ما وراء جبال طوروس ، لكن ابراهيم باشا رد عليه ، بأنه مقيم في كوتاهية بأمر من والده ، وانه لن يعمل الا بالاوامر الصادرة عن محمد علي باشا .

وكان روسين قد أعاد الحكم العثماني الى ازمير في ٢٤ شباط ١٨٣٣ ، بعد أن احتلها ابراهيم باشا على اثر تقدمه الى كوتاهية . ووقف قناصل كل من انكلترا والنمسا وبروسيا الى جانب روسين في امره باعادة حكم السلطان العثماني الى أزمير (١٠) .

ولم يتاثر الموقف الروسي باتفاق ٢١ شباط بل ازداد قوة عندما عين رؤوف باشا صدرا اعظما في عام ١٢٤٨ هـ / ١٨٣٣ م .

وفي ١٥ آذار أبلغ الاميرال روسين الباب العالي بأن على الاسطول الروسي مغادرة مياه البوسفور خلال ٢٥ ساعة ، واذا لم يغادر خلال هذه المدة فانه ناقض لاتفاق ٢١ شباط لذلك استدعى السلطان العثماني ديوانه الى الاجتماع وكلف ريس أفندي بابلاغ الجنرال مورافيف (١١) ان الاتفاق قد أبرم مع محمد علي باشا ، فهو يأمل اعادة الاسطول الروسي الى المياه الروسية . وكانت انكلترة قد نظرت الى اتفاق ٢١ شباط نظرة ارتياح فكتب بالمرستون وزير خارجيتها رسالة الى وليام كامبل سفيرها في الهند قائلا ما معناه : ان تركيا أفضل دولة تملك طريق الهند فهي أفضل من اي ملك عربي ، والواجب على الانكليز مساعدة السلطان العثماني (١٢) .

أما النمسا فقد تلقت خبر اتفاق ٢١ شباط بارتياح ، غير أن مترنيخ(١٣) وجه اللوم للجنرال روسين لانه جرح الشعور الروسي عندما طلب انسحاب الاسطول الروسي

من مياه البوسفور . ويرى مترنيخ انه لولا طلب هذا الانسحاب في الاتفاق لانسحب الاسطول الروسي .

وأحكمت روسيا قبضتها على البوسفور بأسطول حربي وجيش بري نكاية بالموقف الفرنسي . وارسل روسين رسالة مع رسول الى محمد علي ليبلغه اتفاق ٢١ شباط للعمل بموجبه ، فرفضه محمد علي ووجه انذارا الى الباب العالي بأن ابراهيم باشا مخول بالسلطة المطلقة للحصول على ولاية سورية وأدنة . فغضب روسين وكتب الى وزير خارجية فرنسة رسالة جاء فيها انه اذا ارادت فرنسا واوربا انقاذ السلطنة العثمانية وجب عليها ايقاف محمد علي ولو ادى هذا الى اعلان الحرب عليه ، واشار في رسالته الى احتمال(١٤) وصول ابراهيم باشا الى الاستانة بعد مرور ثمانية ايام وسيضطر السلطان الى اعطائه ولاية سورية . وتملك الباب العالي جزع شديد ،لذلك طلب رجاله النجدة من سفير روسيا ، وقرر روسين احباط خطة الباب العالي فتقرب من رجاله واتفق معهم في ٢٩ آذار ١٨٣٣ على ارسال فارين وكيل سفير فرنسا باستانبول مع مندوب عن الباب العالي (رشيد بك) الى كوتاهية للاتفاق مع ابراهيم باشا على منحه ولا ية سورية كلها ؛ وعلى تخفيض الشروط الخاصة بادنة . وحمل الرسولان كتابي روسين وماندفيل الى ابراهيم باشا بهذا الخصوص (١٥) . وأرسلت فرنسا بوالكنت وهو من كبار موظفي وزارة الخارجية الفرنسية الى محمد علي ليقنعه بالجلاء عن الاناضول ، في الوقت الذي أصدر فيه بالمرستون الانكليزي اوامره بتعزيز البحرية الانكليزية بالبحر المتوسط . واشتد الاضطراب في لندن بسبب مجيء نجدة روسية الى استانبول في ٥ نيسان ١٨٣٣م ، فاقترح تاليران وزير خارجية فرنسا ان تتفق انكلترة والنمسا وفرنسا وروسيا على مساعدة السلطان العثماني دون ان تطمع اي منهن بامتلاك ارض تركية ، فوافقت انكلترا على: (١٦)

١ ــ عدم تجزئة تركيا .

٢ ــ يجب ان يتضمن كل اتفاق بين الباب العالي ومصر سيادة تركيا .

٣ ــ استخدام الوسائل اللازمة لارغام محمد علي على قبول هذا الاتفاق .

ولم ينل الاتفاق موافقة النمسا وروسيا ، لان السياسة الروسية تهدف الى السيطرة على المضائق ، وكانت النمسا متعاطفة مع روسيا .

أما فرنسا وانكلترا فقد صممتا على ابعاد النفوذ الروسي عن الدولة العثمانية والحيلولة دون ان يؤسس محمد علي دولة قوية .

لم تكن معاهدة كوتاهية الا تسوية مؤقتة لان محمد علي باشا لم يقبل بها الاخوفا من اجبار الدول له على ترك فتوحاته ، اما السلطان العثاني محمود الثاني فانه قبل بها لتفرق جيوشه وعدم امكانه صد هجمات ابراهيم باشا عن الاستانة الا بمساعدة روسيا واعتبرها بمثابة هدنة ليعيد بناء قواته ، ومن ثم شن الحرب على ابراهيم باشا واعادة بلاد الشام ومصر ولاية عثمانية دون أي امتياز .



وبعد توقيع معاهدة كوتاهية في ٥ ايار ١٨٣٣ اخذ ابراهيم باشا ينظم ادارة بلاد الشام ، فعمل على ضرب نظام الاقطاع العثمانيواعلن المساواة الدينية بين فئات السكان وشجع الزراعة واحياء الارض الموات واعادةالحياةالى القرىالخربة،ومنع البدو مناخذ (الخوة) او الاعتداء على المزروعات .وبدا ابراهيم باشا للاهالي في بداية حكمه كمصلح(١٧) لكنه خضع لاوامر والده فاضطر الى فرض الضرائب الكثيرة ، وكان جنوده يصادرون المواشي وحيوانات الزراعة ، فنشبت الثورات الاولى ضده في نابلس والقدس ، ثم أمره والده بنزع سلاح السكان(١٨) وفرض التجنيد الالزامي عليهم ، فتصاعدت الثورات ضده في صافيتا وعكار وجبال العلويين . وكانت ثورات حوران ١٨٣٧ – ١٨٤٠ اعنف ثورات بلاد الشام واشرسها ضد الحكم الصري(١٩) .

استغل السلطان العثماني والانكليز اندلاع الثورات في بلاد الشام فدسوا الدسائس ضد ابراهيم باشا . والامر الجدير بالملاحظة هو : ان ابراهيم باشا قد طور اقتصاد بلاد الشامولكن لخدمة سياسة محمد علي ،وأن الدسائس العثمانية لم تكن لصالح الثوار بل لاعادة الحكم العثماني الى البلاد . اما الدسائس الانكليزية فقد كان هدفها التغلغل الاقتصادي في البلاد ، فقد دخل اول قنصل انكليزي الى دمشق في ٢١ رمضان ١٢٤٩هـ/١٨٣٣م(٢٠) . وأرسل سفير انكلترا في الاستانة في عام ١٢٥٠ هـ / ١٨٣٤م ريتشارد وود ترجمان السفارة الانكليزية الى لبنان بحجة حبه لتعلم اللغة العربية ، فاتخذ كسروان مقرا له واخذ يدس الدسائس ضد ابراهيم باشا(٢١) .وكانت انكلترة الذراع القوي الذي استند اليه الباب العالي في حربه ضد ابراهيم منذ عام ١٨٣٤ ، فاخذ يحشد الجيوش في سيواس ، وأسند مهمة تدريبها الى ضباط بروسيين (ملباخ وفيشر وفون مولتكه ...) وكانت القيادة العليا في سيواس لرشيد باشا الذي اسره ابراهيم باشا في موقعة قونية كما مر .

وكان ابراهيم باشا ، على الرغم من تصاعد ثورات بلاد الشام ضده ، لا يغفل الحدود العثمانية . فقد كان يتوقع شن هجوم عثماني مفاجيء لان السلطان محمود

الثاني لم يغفر لمحمد علي فعلته تجاه بلاد الشام . وتروي المصادر العثمانية ان رشيد باشا توفي اثر اصابته بحمى ادت الى التهاب النخاع الشوكي ، فخلفه في قيادة الجيش العثماني حافظ باشا (٢٢) .

وكان الجنود العثمانيون يناوشون جنود ابراهيم باشا ، حتى انهم اجتازوا نهر الساجور ـ أحد روافد الفرات ـ وهاجموا فرقة فرسان مصرية ففرقوها وقتلوا منها وأسروا ٧٠أسيرا . وكان الانكليز والنمساويون يدفعون بالاتراك الى قتال الجيش المصري، فأصدر السلطان العثماني أمرا الى حافظ باشا بالهجوم على قوات ابراهيم باشا ، فعبر هذا نهر الفرات عند بلدة (بلاجيق) في شهر نيسان ١٨٣٩ وعسكر في سهول مدينة نصيبين (نزب) في ١١ ربيع الثاني ١٢٥٥ هـ / ٢٤ حزيران ١٨٢٩ حيث التقى بالجيش المصري ، ودارت معركة شديدة اسفرت عن فوز المصريين وتقهقر الجيش العثماني ، وغنم الجيش المصري ١٦٦ مدفعا وعشرين الف بندقية وكثيرا من الذخائر والمؤن . ومن قبيل المصادفات ان المنية وافت السلطان محمود الثاني دون ان يعلم بنتيجة معركة نزب ، وصعد الى عرش السلطنة ابنه عبد المجيد البالغ من العمر يومذاك سبع عشرة سنة (٢٣) .وأسند الخليفة منصب الصدارة العظمى الى خسرو باشا غير عالم بالعلاقة السلبية بين أحمد باشا ، قائد الاسطول العثماني ، وبين خسرو باشا الذي كان على علاقة سيئة مع محمد علي باشا ، لانه اخرج من مصر بناء على رغبة أهليها عندما طالبوا بتعيين محمد علي واليا عليها ، فقاد احمد باشا الاسطول العثماني واتجه الى الاسكندرية ، وهناك سلمه الى محمد علي باشا في ٢ جمادى الاولى ١٢٥٥/ ١٤ تموز ١٨٣٩ ، وطلب اللجوء السياسي من محمد علي(٢٤) .

وعندما علم قناصل الدول الاوربية بالاستانة بتسليم الاسطول العثماني الى محمد علي باشا خشوا ان يزحف ابراهيم باشا على الاستانة فترسل روسيا جيوشها لمحاربته استنادا الى معاهدة اونكيار اسكلة سي ، لذلك اجتمع سفراء فرنسا وانكلترا والنمسا وبروسيا وروسيا ووجهوا مذكرة موقعة منهم الى السلطان العثماني في ١٦ جمادى الاولى ٢٨/١٢٥٥ تموز ١٨٣٩ ، طلبوا منه بموجبها ان لايقر شيئا في أمر المسألة المصرية الا باطلاعهم ، وابدوا استعدادهم للتوسط بينه وبين محمد علي باشا لحل هذه المشكلة . وقبل السلطان والباب العالي مذكرة قناصل الدول الاوربية ، واجتمع أولئك السفراء مع الصدر الاعظم وتداولوا فيما يجب اعطاؤه لمحمد علي . وأبدى سفيرا انكلترا والنمسا ضرورة ارجاع بلاد الشام للدولة العثمانية ، وعارضهم في هذا الرأي سفيرا فرنسا وروسيا وطلبا ان يمنح محمد علي مصر وولايات الشام الاربع . لكن سفير بروسيا انحاز الى الرأي الاول ، واقترح مترنيخ مستشار النمسا ان يعقد مؤتمر دولي في مدينة فيينا او لندن لاتمام المحادثات حول المسألة المصرية(٢٥) .

وقد عارضه كل من سفيري فرنسا وانكلترا لعدم ثقتهم به ، واعلن سفير روسيا حق بلاده في التمسك بمعاهدة اونكيار اسكلة سي . لذلك طلب سفير فرنسا وسفير انكلترا من الباب العالي تصريحا لمراكب دولتيهما بالمرور من مضيق الدردنيل لحماية الدولة العثمانية ، عند الضرورة ، من روسيا ومن العساكر المصرية ، وجاء الاميرال ستوفورد الى الاستانة للحصول على هذا التصريح . ولما علم باقي السفراء بهذا الطلب اضطربوا وخشوا حصول انشقاق بين الدول المتوسطة . واعلن سفير روسيا بانه سيقطع علاقته مع الباب العالي ويغادر الى موسكو اذا دخل الاسطول الانكليزي او الفرنسي مضيق الدردنيل او البوسفور . وكانت حكومته قد ارسلت له مركبا حربيا ليسافر عليه اذا اقتضى الحال (٢٦) . وكتبت النمسا رسالة الى لندن واخرى الى باريس معلنة ان طلبهما مخل بسلم اوربا ، وان النمسا ستخرج من التحالف وتحفظ لنفسها حرية العمل ، اذا اصرت الدولتان على هذا الطلب . وعندما علم الباب العالي بموقف النمسا خاف من تفاقم الخطب ، فرفض طلب حكومتي فرنسا وانكلترا ، وطلب منهما ابعاد اسطوليهما عن مضيق الدردنيل(٢٧) . وتقدم بوسونبي سفير انكلترا بالاستانة بعرض الى الباب العالي جاء فيه ان دولته قادرة على ارغام محمد علي باشا على رد الاسطول العثماني شريطة حصوله على موافقة الدولة العثمانية على السماح للاسطول الانكليزي بدخول خليج استانبول لصد الاسطول الروسي عند الضرورة . وعندما علمت فرنسا بالعرض الانكلزي ارسلت الى الاميرال لالاند قائد الاسطول الفرنسي بالمياه العثمانية في ١٨ كانون الاول ١٨٣٩ أمرا بان لا يشترك مع الاسطول الانكليزي في اية حركة عدوانية ضد محمد علي باشا . واصبح الخلاف بين انكلترة وفرنسا حول المسألة المصرية امرا محتما ، اذ رات انكلترا ارجاع محمد علي باشا من بلاد الشام الى مصر ، في حين كانت فرنسا ترغب ببقائه فيها(٢٨) . اما النمسا ، فقد قررت عدم التدخل لان الدول لم توافق على طلبها بعقد اجتماع في فيينا او برلين ، واعلمت كل من روسيا وبروسيا بانهما تقبلان كل ما تقرره الدول بشأن المسالة المصرية شريطة ان يكون الحل موافقا لرغبة الباب العالي .

ودار النقاش بين انكلترا وفرنسا ، فقد رات الاولى تجريد محمد علي من بلاد الشام في الوقت الذي رات فيه فرنسة عدم حرمانه من بلاد الشام وخاصة بعد ان قهر الجيش العثماني في معركة نزب ، واعلنت انكلترا موافقتها على اعطاء محمد علي نصف بلاد الشام الجنوبي مدى حياته بشرط ان لا تدخل مدينة عكا من هذا النصف، فرفضت فرنسا اقتراح انكلترا بحجة انه يفتح باب الحرب امام محمد علي ، ويتيح الفرصة لتدخل روسيا ، وتكون الحرب العامة نتيجة لذلك(٢٩) . اما روسيا فقد رات ان تغتنم فرصة الاختلاف بين انكلترا وفرنسا لتعزيز نفوذها في الشرق وحق حمايتها

للدولة العثمانية ، لذلك ارسلت البارون دي‌برونو الى لندن بصفة سفير فوق‌العادة، فوصلها في ٢٨ ايلول ١٨٣٩ ، واعلن للحكومة الانكليزية نيابة عن قيصر روسيا بان حكومته تترك لانكلترا حرية العمل بمصر وتساعد في اذلال محمد علي باشا بشرط ان توافق على انزال جيش روسي قرب استانبول في مدينة سينوب على شاطىء البحر الاسود . لكن بالمرستون لم يقبل الحل الروسي بحجة استقباح الراي العام له ، بل طلب من روسية ان تتنازل عن كل ما خولتها اياه معاهدة اونكيار اسكلة سي من حق في حماية الدولة العثمانية ، فرفضت روسيا ذلك . وارسلت روسيا للمرة الثانية برونو الى لندن في تموز ١٨٤٠ ، حاملا اقتراحات جديدة : ان ترسل كل من انكلترا وفرنسا ثلاث سفن حربية الى بحر مرمرة للاشتراك مع الجيش الروسي في حماية الاستانة لو هاجمها ابراهيم باشا ،ولم تفز روسية بمرامها في هذه المرة أيضا (٣٠) .

وعلم محمد علي باشا بالمحادثات الدائرة ضده على‌ساحة أوربا ،وتاكد من تصميم انكلترا على ارجاع جيشه من بلاد الشام الى مصر ، ومن ان فرنسا لا تتمكن من مساعدته ، بالاضافة الى تعصب معظم دول اوربا ضده . لذلك قرر رد القوة بالقوة بحيث لا يسلم شبرا من الارض التي احتلها الا مضطرا . ، واخذ يستعد لخوض معركة قريبة الحدوث مع الدول الاوربية . وعادت النمسا في اوائل عام ١٨٤٠ م الى طلب عقد اجتماع الدول في مؤتمر في فيينا لتسوية المسألة المصرية ، واستجابت انكلترا لطلبها وتقرر عقد المؤتمر في لندن ، وان يكون للباب العالي مندوب فيه مراعاة له لما يتمتع به من سيادة على البلاد المتنازع عليها (٣١) . وجاء تولي تيير رئاسة الوزارة الفرنسية في اول اذار عام ١٨٤٠ ليضع خطة جديدة في حل المسألة المصرية ، اذ قرران يحلها باتفاقه مباشرة مع الباب العالي ومحمد علي باشا ، وذلك بان يلزم الباب‌العالي بان يترك لمحمد علي ولايات مصر والشام ، وهدد بالوقوف الى جانب محمد علي باشا. وارسل تيير الى والي مصر بان لا يقبل مطالب انكلترا . ولما علم بالمرستون بنوايا تيير حقد عليه وبذل جهودا كثيرة في الاتفاق مع النمسا وروسيا وبروسيا لارجاع محمد علي الى مصر . ونجح بالمرستون في‌مسعاه ووقع في ١٥ تموز ١٨٤٠ مع الدول الثلاث ومندوب الباب العالي معاهدة لندن . وجاء فيها (٣٢) :

١ ـ يلزم محمد علي باشا بارجاع ما احتله للدولة العثمانية ويحفظ لنفسه الجزء الجنوبي من بلاد الشام ماعدا مدينة عكا .

٢ ـ ان يكون لانكلترا حق الاتفاق مع النمسا في محاصرة مواني بلاد الشام ومساعدة كل من اراد من الاهالي خلع طاعة المصريين والرجوع الى الدولة العثمانية ،

واشعال نار الثورة ضد الجيوش المصرية كي لا تقوى على مقاومة المراكب الانكليزية والنمساوية .

٣ ـ يحق لاساطيل انكلترا والنمسا وروسيا الدخول معا الى مياه البوسفور لحماية الاستانة في حال تعرضها لهجوم الاسطول المصري .

٤ ـ لا يحق لاي اسطول حربي دخول مياهالبوسفور مادامت الاستانة غيرمهددة .

٥ ـ يجب على الدول الموقعة على معاهدة لندن ان تصدقها خلال مدة لاتزيد على شهرين وان يكون التصديق في مدينة لندن .

ابرمت معاهدة لندن بين دول اوربية بحضور مندوب عن الباب العالي . وقد قررت الدول الموقعة على تلك المعاهدة معرفة موقف السلطان ، تجاه المعاهدة من جهة ، وتجاه محمد علي باشا من جهة ثانية ، لذلك أبرمت مع السلطان عبد المجيد اتفاقية عرفت بملحق معاهدة لندن ، ضم الملحق البنود الاتية :(٣٢)

١ ـ يمنح السلطان العثماني محمد علي باشا وسلالته من بعده ولاية مصر ، ويمنحه ولاية عكا والجزء الجنوبي من بلاد الشام مدى حياته ، بشرط قبوله هذه المنح خلال مدة عشرة ايام من تبليغها اليه في الاسكندرية على يد رسول من قبل السلطان ، ويسلم محمد علي الى رسول السلطان الاوامر اللازمة لقواد قواته برا وبحرا لينسحبوا في الحال من الاناضول وبلاد الشام ، ماعدا الجزء الذي منحه له السلطان .

٢ ـ اذا لم يقبل محمد علي هذه التسوية خلال عشرة ايام يفقد ولاية عكا وتبقى ولاية مصر له ولسلالته بالوراثة ، شرط ان يعلن قبوله هذه المنحة في مدى عشرة ايام تالية للعشرة الاولى ، ويسلم محمد علي التعليمات اللازمة لانسحاب قواته برا وبحرا الى حدود ولاية مصر .

٣ ـ ان يعيد محمد علي الاسطول التركي الى السلطنة العثمانية في مدى عشرين يوما تبتدىء من اليوم الاول الذي يتلقى فيه البلاغ (الملحق) ويشهد روبرت ستوفورد قائد اساطيل الحلفاء تسليم الاسطول المصري .

٤ ـ تعتبر المعاهدات والقوانين النافذة في السلطنة العثمانية نافذة في مصروولاية عكا . ويمنح محمد علي حق تحصيل الضرائب والرسوم مقابل دفعه اتاوة للسلطان العثماني .

٥ـ تعد القوات البرية والبحرية التي ينظمها محمد علي باشا في مصر قسما من قوات السلطنة وتعتبر دائما معدة لخدمة الدولة العثمانية .

٦ ـ اذا لم يقبل محمد علي في مدى عشرين يوما بنود الملحق ، يكون السلطان حرا باتباع الخطة التي يراها مناسبة ، طبقا للنصائح التي يسديها اليه حلفاؤه .

وبعد اقرار بنود الملحق وقع الحلفاء اتفاقا بينهم بتنزههم جميعا عن كل ربح او مغنم . وارسل السلطان العثماني ، في ١٤ اب ١٨٤٠ ، رفعت بك الى الاسكندرية ليبلغ محمدا عليا قرار السلطان والدول الاوربية . وعندما علم محمد علي ببنود الملحق اجاب: ان ما اخذته بالسيف لا اسلمه الا بالسيف . وجاء قناصل الدول الاربع انكلترا ، النمسا ، روسيا وبروسيا ، في ١٥ جمادى الثانية ١٢٥٦هـ/١٥ اب ١٨٤٠ ، الى مقر محمد علي باشا وابلغوه قرار الدول (معاهدة لندن ١٨٤٠) واستمهلوه عشرة ايام ، وبلغوه ان فرنسا لا تستطيع مساعدته وان الدول مصممة على تنفيذ قرارها وان ادى ذلك الى اعلان الحرب ضده ، فاصر محمد علي على ان ما اخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة(٣٤) . وفي ٢٤ آب عاد قناصل الدول ومندوب السلطان وابلغوا محمد علي انه لم يبق له حق في ولاية عكا لانه لم يعلن قبوله في الايام العشرة الاولى ، وان الدول لن تسمح له الا بولاية مصر كما جاء في قرارها . فاحتد محمد علي غضبا وطرد القناصل من حضرته ، لكنهم اعطوه مهلة عشرة ايام اخرى لاعطاء جوابه ، فان لم يفعل تكون الدول المتحالفة غير مسؤولة عن النتائج ، اما فرنسة فلم تقدم المساعدة التي وعدت بها الى محمد علي ، وحمل الشعب الفرنسي تيير المسؤولية وطالب باعفائه من منصبه ، فتخلى عنه في ٢٩ تشرين الاول عام ١٨٤٠م . وشكلت الدول الموقعة على معاهدة لندن قوة مشتركة لالزام محمد علي باشا بتنفيذ بنود المعاهدة اذا رفض قبولها . وكانت القوة من قسمين : برية بقيادة الجنرال الانكليزي سميت ، وبحرية مؤلفة من عشرين سفينة انكليزية وثلاث سفن نمساوية وثلاث سفن عثمانية بقيادة القبطان الانكليزي ووكر ، المعروف عند الاتراك باسم ياور باشا(٣٥) . وفي ٩ أيلول ١٨٤٠ وصل الاميرال الانكليزي ستويفورد القائد العام لقوات الحلفاء الى مدينة بيروت ، وانضم الى قوات نابير الانكليزي الذي كان قد اعلن عن مجيء القوات الحليفة وتوزيعها السلاح على الاهالي والثائرين ضد ابراهيم باشا . ونزلت القوات الحليفة مقابل بيروت وهاجمت ميناءها الذي كان قاعدة للجيش المصري ، وانزل الاسطول الجيوش على شواطىء جونية ، وقد اعلنت الدول الاوربية التي اشتركت في الحرب ضد ابراهيم باشا الغاية من تدخلها كما جاء في اعلان وزارة الخارجية البريطانية وهي : الحفاظ على سلامة السلطنة العثمانية ، وللدول الموقعة على معاهدة لندن ١٨٤٠ الحق في الحفاظ على سلامتها لان سلامة

السلطنة العثمانية من مقتضيات توازن القوى في اوربة وهي ضرورية لحفظ السلام في العالم .

وعندما كان الاسطول الانكليزي راسيا امام بيروت وصلت سفينة من مصر فأمر الاميرال نابير بتفتيشها فوجدوا فيها رسالة من بوغوص بك وزير خارجية محمد علي باشا الى سليمان باشا الفرنساوي معاون ابراهيم باشا يؤكد فيها ان فرنسا ستستدعي قنصلها مورا من بيروت لانه كان يساعد الثوار ضد المصريين(٣٦) . أما امير جبل لبنان بشير الشهابي الثاني الذي اضطر الى الوقوف الى جانب ابراهيم باشا فقد حرم على اهالي لبنان التعاون مع القوات المشتركة وهدد بانزال اقصى العقوبات بالمتعاونين معها . واستمرت قوات الحلفاء في شن الهجوم على جيش ابراهيم باشا ، خلال الفترة من ٩ ايلول حتى ١١ تشرين اول ١٨٤٠ ، وكانت معركة قرية (بحر صاف) معركة شديدة اسر الحلفاء فيها من جيش ابراهيم باشا ٧٠٠ اسير . وارتد ابراهيم باشا الى البقاع في ١١ تشرين الاول وسلمت الحامية المصرية المرابطة في بيروت (٣٧) . وكان الحلفاء قد خلعوا الامير بشير الشهابي الثاني وعينوا بدلا منه ابن عمه الامير بشير قاسم ، وعلم الامير بهزيمة ابراهيم باشا وتسليم حامية بيروت لذلك غادر مقره في بيت الدين في ١١ تشرين الاول ١٨٤٠ واتجه الى صيدا واعلن الى خالد باشا متسلم صيدا انه جاء مستسلما . فقابله بالاجلال والاحترام ، واتجه من صيدا الى بيروت في سفينة خاصة مع ابنه الامير أمين وحفيده الامير محمود ولما وصل بيروت ابلغه عزت باشا الذي عين واليا على سورية ان يختار لنفسه مكان الاقامة ما عدا فرنسا ومصر وسورية ، فاختار جزيرة مالطة ، واتجه اليها على ظهر باخرة انكليزية في ١٦ تشرين الاول ١٨٤٠م ، ومعه زوجه واولاده واحفاده وثلة من اعوانه وخدمه . وهكذا طويت صفحة امارته بعد حكم طويل(٣٨) . وبعد تسليم الامير بشير ، انسحبت الحاميات المصرية من طرابلس واللاذقية وادنة بدون قتال ، ولم يبق من مدن الساحل في ايدي المصريين سوى عكا . واصدرت انكلترا أوامرها الى الاميرال روبيرت ستويفورد في أواخر تشرين الاول بمهاجمة عكا ، فجمع قوات برية وبحرية وحاصرها في ٢ تشرين الثاني ١٨٤٠ ، وامطرها وابلا من القذائف دمرت حصونها وكبد المصريين خسارة فادحة في الارواح قدرت بالفي قتيل وجريح وثلاثة الاف اسير ، وبعد الاستيلاء على عكا اتجه اسطول الحلفاء الى يافا واحتلها بلا قتال . وبعد السيطرة على عكا ويافا وحيفا ارسل الحلفاء الاميرال الانكليزي نابيير الى الاسكندرية ليضغط على محمد علي فوصل اليها في ٢١ تشرين الثاني وفي يوم ٢٢ منه وجه رسالة الى محمد علي عن طريق بوغوص بك ، ووقع نابيير اتفاقا في ٢٧ تشرين الثاني ، مع محمد علي باشا ، نص على جعل حكم مصر والسودان وراثيا في اسرته (٣٩) .

وبقي الموقف الفرنسي الى جانب محمد علي باشا . فقدوجهت الحكومة الفرنسية مذكرة الى الحلفاء في ٨ تشرين الاول حملت الحلفاء فيها اسباب وقوع الحرب لانهم حرموا محمد علي ثمرة انتصاراته واقدموا على تنفيذ قرار السلطان العثمايي بعزله .

وكانت فرنسا قد وجهت رسالة الى محمد علي باشا حضته على ترك بلاد الشام والاكتفاء بمصر ، فوجدت رسالتها قبولا عندما علم محمد علي باشا بتعيين الامير بشير قاسم بدلا من الامير بشير عمر الشهابي الثاني ، وبسبب سيطرة الحلفاء على ساحل بلاد الشام ، بالاضافة الى نقص الاموال في مصر ، وكان جيشه في بلاد الشام تعبا بسبب الحروب التي ما زال يخوضها منذ ثماني سنوات . وكان السلطان العثماني قد حصل على فتوى في ١٥ تشرين الاول ١٨٤٠ بخلع محمد علي من الحكم واعلن تعيين عزت محمد باشا خلفا له في حكم مصر وسورية(٤٠) .

وكان اتفاق نابيير مع محمد علي المار الذكر ، والموقع في ٢٧ تشرين الثاني ، قد اكده قائد السفن الحربية الانكليزية بالبحر المتوسط (نابير) الذي ذهب الى ميناء الاسكندرية وعرض على محمد علي ان يعرض الاتفاق بينهما على دول اوربية لتثبيت حكم محمد علي الوراثي في مصر ، لذلك اصدر محمد علي امرا الى ابنه ابراهيم باشا بالانسحاب من بلاد الشام والعودة الى مصر والتزم محمد علي باتفاق ٢٧ تشرين الثاني والذي تضمن اعادة الاسطول التركي والانسحاب من بلاد الشام والاكتفاء بحكم مصر على ان يورث هذا الحكم لاولاده الذكور .

وتلقى ابراهيم باشا امر والده في ٩ كانون اول ١٨٤١ بالانسحاب فاخذ يستعد لمغادرة بلاد الشام ، وكان الحلفاء قد اعدوا خطة للايقاع بابراهيم باشا خلال انسحابه لكن ابراهيم باشا ، بعد ان اعلن طريق انسحابه ، تحول عنه فجأةالى طريق اخر فجنب نفسه خطورة مؤكدة ، وعاد الى مصر .

المصادر

(١) عبد الكريم رافق ، العرب والعثمانيون ١٥١٦ – ١٩١٦ ، دمشق ١٩٧٤ ، ص ٤٠٣ – ٤٠٤ .

(٢) الباب‌العالي : بني في استانبول ، وكان مقرا للصدر الاعظم ، واعتقد الناس انه مركز السلطة العليا بالسلطنة العثمانية منذ ان وصل مصطفى باشا من اسرة كوبرولي الى منصب الصدارة العظمى (١٦٩١) . وتعرض الباب العالي الى الهدم مرات عديدة واعيد ترميمه . ويقع الان خلف مديرية الامن باستانبول وقرب ارشيف باش باكانليك (رئاسة الوزراء) فيها .

(٣) وكان عدو محمد علي باشا في استانبول الصدر الاعظم خسرو باشا الذي بـدأ خدمتـه في قصـر السلطان العثماني وترقى الى المناصب الرفيعة ، ناصب محمدا عليا والي مصر العداء ولعب دورا خطيرا في المشاكل التي نشبت بين تركية ومصر ، أباد الانكشارية . امضى اخريات ايامه في عمل الخير وتوفي في عام ١٨٥٥م .

(٤) بطرس الاكبر او بطرس الاول (١٦٧٢ – ١٧٢٥م) ، امبراطور روسية (١٧٢١ – ١٧٢٥م) وقيصرها. وهو مؤسس الدولة الروسية الحديثة . كان اصغـر اولاد القيصر الكسيس من زوجته الثانية . قضى بطرس صباه شبه منفي باحدى ضواحي موسكو ، يحيط به رفاق من اشد الصبية خشونة ، وظهرت عليه موهبة القيادة في حالة مبكرة . وجعل هدفه بعد ان وصل الى الحكم السيطرة على البحر البلطي والبحر الاسود لكي تصبح روسية دولة بحرية وتجارية .

(٥) ارشيف استانبول (رئاسة الوزراء) ، دوسية ٧٨ .

(٦) ارشيف استانبول ، المصدر نفسه ، الوثيقة المرفقة رقم (١) .

(٧) المصدر نفسه

Dosya Usulu - Iradaler Jurba - 78

الوثيقة المرفقة رقم (٢) .

(٨) ارشيف استانبول ، المصدر نفسه ، الوثيقة المرفقة رقم ٣ . ثم انظر محمد خـير فارس ، تاريخ الجزائر الحديث ، دمشق ١٩٦٩ ، ص ١٧٠ .

(٩) عبد الرحمن الرافعي بك ، عصر محمد علي ، القاهرة ١٩٤٧ ، ص ١٩١ . ثم انظر الوثائق العثمانية المرفقة ، ثم انظر كادلفين وبارو ، حرب مصر ضد الباب العالي والاناضول سنة ١٨٣١ – ١٨٣٣، ص ٤١٢ .

(١٠) ارشيف استانبول ، خارجية ، دفتر رقم ١ تاريخ ١٢٤٩ ، الوثيقة رقم ٣٤ .

(١١) ارشيف استانبول ، خط همايون ، دفتر رقم ١٨ ، وثيقة رقم ٢٥٨٢٢ .

(١٢) ارشيف استانبول ، خط همايون ، دفتر رقم ١٩ ، الوثيقة رقم ٢٦٨١٢ .

(١٣) مترنيخ : سياسي نمسوي ، كان سفيرا للنمسة في باريس عام ١٨٠٦ وترأس مؤتمـر فيينا وبانـة في عامي ١٨١٤ و ١٨١٥ ، كان زعيما للرجعية واعتزل السياسة عام ١٨٤٨ وتوفي عام ١٨٥٩ .

(١٤) ارشيف استانبول ، ارادة ، الدفتر رقم ١٢٤٩ داخلية ، الوثائق ٣٣٬٢٩ ، ١٢٣ ، ١٥٠ .

(١٥) ارشيف استانبول ، مهمة مصر دفتري ، من اوائل ربيع الاخر عام ١٢٤١ الى اخر جمادى الاخـرة ١٢٨٠ هـ رقم الدفتر ١٣ ، الصفحة ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٩ ، ١١٠ .

(١٦) المصدر نفسه ، ص ١٢٩ ــ ١٣٥ .

(١٧) H. Dodhel , The Founder of Modern Egypt, Cambridge, 1931 , p.253.
وانظر ، اسد رستم ، المحفوظات الملكية المصرية ، ج٢ ، بيروت ١٩٤١ ، ص ١٣٤ .

(١٨) أسـد رستم ، المصـدر نفسـه ، ص ٣٤٩ . ثـم انظر سـميليا نسكايا ، الحركات الفلاحيـة في لبنـان ، ص ٧٥ .

(١٩) أسد رستم ، المصدر السابق ، الجزء الرابع ،بيروت ١٩٤٣ ص ٢٤٠ ــ ٢٤١ ــ ٢٤٣ ــ ٢٤٤ ، الجزء الثالث ، بيروت ١٩٤٢ ، ص ٣٣٠ ــ ٣٣٣ .

(٢٠) محمد كرد علي ، خطط الشام ج٣ ص ٦٣ ، القاهرة ١٣٤٦ هـ ، وانظر بيركربتيس ، ابراهيمباشا في سورية ، تعريب بدران ، القاهرة ١٩٣٧ ، ص ٢١٣ ، ٢٥٨ .

(٢١) ريتشارد وود : قنصل انكلترة في الاستانة ، ارسل الى لبنان لزرع بذور الثورة ضد ابراهيمباشا، ووقف ضد الامير بشير الشهابي الثاني ودعم الامير بشير قاسم الذي عين بمساعيه حاكما على جبل لبنان بعد رحيل الامير بشير الثاني .

(٢٢) ارشيف استابول ، الدفتر ١٢٥٥ ، ارادة داخلية ، الوثائق رقـم ١٢٣ ، ١٥٠ ، ٢٣٧ ، ٣٧٠ وانظر الارقام : ١٩٠٣ ، ٢٤ ، ٣١ ، ٤٧ ، ١٠٣ في الدفتر نفسه .

(٢٣) ارشيف استانبول ، ارادة داخلية ، الدفتر ١٢٥٥ ، ارقام ٣٣ ، ٤٥ ، ٧٧ ،٨٧ .

(٢٤) محمد فريد بك المحامي ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، بيروت ،١٩٧٧، ص ٢٤٢.

(٢٥) ارشيف استانبول ، Gefdet Lktisat مؤرخة في عام ١٢٥٥هـ ص ١٢٢ .

(٢٦) ارشيف استانبول ، جودت ، مالية ، دفتر رقم ١ ،١ الوثائـق ذات الارقـام : ٩١٠٧ ، ٩٣٠٦ ، ٩٣٥٧ ، ٩٦٧٥ .

(٢٧) ارشيف استانبول ، خط همايون ، دفتر رقم ١٨، الوثائق : ٣٥٧٩١ ٣٥٨٢٢ ،٣٣٨٥٦ .

(٢٨) ارشيف استانبول ، خط همايون ، دفتر رقم ١٨ ،الوثيقة رقم ٣٦٢٠٦ .

(٢٩) ارشيف استانبول، المصدر نفسه، الوثائق : A ٣٦٢٠٠ - B ٣٦٢٠٠ - C ٣٦٢٠٠ - D ٣٦٢٠٠.

(٣٠) محمد فريد بك المحامي ، تاريخ الدولة العثمانية ، بيروت ١٩٧٧ ص ٢٣٩ .

(٣١) ارشيف استنبول Meclis , Hariciys، دفتر ٢٦٠ ، ١١ الوثائق ذات الارقام ١٣٢، ١٧٣، ١٨٣.

(٣٢) المصدر نفسه ، الوثائق ١٨٨ ، ٢١٤ ، ٢٢٣ .

(٣٣) عبد الكريم رافق ، العرب والعثمانيون ص ٤١٠ ، ثم انظر محمـد فريد بك المحامـي ــ المصـدر السابق ص ٢٤٣ .

(٣٤) ارشيف استانبول ، مهمة مصر دفتري ، المصدر السابق ، ص ١٦٣ .

(٣٥ــ٣٦ــ٣٧) ارشيف استانبول ، خط همايون ، دفتر رقـم ٩ ، الوثائـق : ١٧٢١٣ ، A ١٧٢٨٥ ، B ١٧٢٩٧ .

(٣٨) فيليب حتى ، تاريخ لبنان ، تعريف د.انيس فريحة ، بيروت ، ط٣ ١٩٧٨ ، ص ٥١٦ .

(٣٩) محمد فريد بك المحامي ، المصدر السابق ص ٢٤٠ .

(٤٠) ارشيف استانبول ، ارادة داخلية ، دفتر عام ١٢٥٦، الوثائق ١٠٥٦، ١٠٩٦ :١٠٩٧،٢: ١١٩٠٦٢، ١٤٤٦ .